مجلة العلوم الإسلامية والحضارة رقم ISSN 2477 – 9903
المجلد 07 ـ العدد 02 ـ السنة 2022 ص 137 - 164

الانفتاح والتّعايش بين المذاهب السّنّية في مصر والشام خلال العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)

coexistence between Sunni sects in Egypt and the Levant during the Mamluk era (648-923 AH / 1250-1517 AD)

فوزي رمضاني*

جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر f.ramdani@lagh-univ.dz

تاريخ الإرسال: 2022/03/01 تاريخ القبول: 2022/04/19 تاريخ: النشر: 2022/06/05

الملخص:

يُعالج هذا المقال ظاهرة التعايش بين أصحاب المذاهب السُّنّية (الأحناف، المالكية، الشافعية، والحنابلة) في مصر والشام خلال العصر المملوكي، من خلال الوقوف على حيثيات التعامل بينهم، والتركيز على المظاهر الدالة على الانسجام والتسامح وقبول رأي الآخر، وإثبات أن هناك جوانب مشرقة وإيجابية في تاريخ المذاهب السُّنّية على غرار التّعصُّب المذهبي الحاصل بينهم.

وبيّنت لنا الدراسة ملامح عديدة للتعايش، كالتلمذة المتبادَلة، وتقديم رأي المخالف في المذهب، والاجتماع في مؤسسات علمية واحدة للتّدارُس، وغيرها من المظاهر التي تجعَلنا نُقرر- استنتاجا- أن ذلك هو الأصل الأصيل والنموذج الراقي في التعامل بين المذاهب السُّنّية.

الكلمات المفتاحية: مِصر، بلاد الشام، العصر المملوكي، التعايش المذهبي، المذاهب السُّنّية.

* المؤلف المرسل

Abstract:

This article deals with the picture of coexistence between the adherents of the Sunni sects (Hanafi, Maliki, Shafi'i, and Hanbali) in Egypt and the Levant during the Mamluk era, by dealing with them, focusing on the manifestations of tolerance and acceptance of opinion, and proving that there are other bright and positive aspects in. The history of the Sunni sects.

The exemplary study showed an exemplary picture of coexistence, presenting an image and presenting the opposing sect, and with another in one scientific institutions for study, and other aspects that make us look - and conclude - that this is the origin and the noble model in dealing between the Sunni sects.

Keyword: Egypt, the Levant, the Mamluk era, sectarian coexistence, Sunni sects.

مقدمة:

إن المتأمل في أحداث التاريخ الإسلامي يجد جانبًا سلبيًّا منها تمثَّل في التّعصُّب والصراع المذهبي الذي أفضى إلى تفرُّق المسلمين وتشتُّتهم شيعًا وأحزابًا، وهذا ما حذّر منه الله عزّ وجلّ بقوله:{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}[1]، كما شنّع النبي ﷺ فعله ونهى عن الوقوع فيه بقوله:" إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَضِىَ لَكُمْ ثَلاَثاً وَكَرِهَ لَكُمْ ثَلاَثاً، رَضِىَ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأَنْ تَنْصَحُوا لِمَنْ وَلاَّهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ"[2].

وإنْ حدَث ذلك التّفرُّق والتّشتُّت–وقد حدث– فينبغي على عُقلاء الأمّة وحكمائها الممثَّلين في العلماء أن يعملوا جاهدين على محوِه ورأب صدعِه، فالعلماء ورثة الأنبياء مثلما جاء في حديث النبي ﷺ:" إِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هم وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ"[3].

وشهد تاريخ المسلمين مشرقا ومغربا أمثلةً كثيرةً ومتكرّرةً عن الصّراعات بين أصحاب المذاهب السُّنّية الناتجة عن التّعصُّب، وتمّت دراسة ذلك الجانب وتبيينه من قِبل الباحثين[4]، فسلّطوا عليه الضوء وأحاطوه بهالة كبيرة من الاهتمام، ورأوا بأن وُقوعه في الأمّة أمر حتمي، فراحوا يدْرُسُونه ويتتبّعون عِلله–وهو أمر مطلوب– مستشرفين الحصول على وصفات علاجيّة ووقائيّة تحُول دون الوقوع فيه، ولكن مع ذلك فإنّه كان هناك جانب مشرق في التعامل بين أصحاب تلك المذاهب نرى حتمية دراسته، وتبيينه على أساس أنه النموذج الراقي للتعامل بينهم، فهُم أصل الدّاء، والدّواء أحيانا يستخرج من الدّاء، ولذلك ارتأينا أن نُسلِّط الضّوء في دراستنا هذه على نموذج حصل في رقعة إسلاميّة، وهي مصر والشام، اخترنا لها إطارا زمنيًّا تمثَّل في العصر المملوكي، فجاء عنوان المقال كالتالي: **"الانفتاح والتعايش بين المذاهب السُّنّية في مصر والشام خلال العصر المملوكي"**، أردت من خلاله تتبع مظاهر التقارب والتعايش بين المذاهب خلال تلك الفترة التي كانت مادة خصبة للباحثين عن نقاط الاختلاف بين الأمة الإسلامية الممثّلَة في التّعصُّب المذهبي.

وتكمن أهمّية الموضوع في أنه يعالج ويكشف تنوّع وتعدّد مظاهر التقارب والاتفاق بين تلك المذاهب خلال فترة المماليك الشافعيين، الذين ساهموا في نشر المذهب السُّني على تعدّد مذاهبه، وبيان مدى التفاعل والتواصل بينهما في تلك الفترة بقدر ما تجود به المصادر.

أما بالنسبة لإشكالية البحث، فإنها تتمثّل في السؤال التالي: هل حصل تقارب وتعايش بين المذاهب السُّنّية في مصر والشام خلال العصر المملوكي؟، وما هي مظاهر ذلك وآثاره إن وُجد؟.

وللإجابة على الإشكالية المطروحة تتبعت منهجا يقوم على الاسترداد الذي يغلب عليه الوصف، وتقوم عليه الدراسات التاريخية لاسترجاع الحوادث المراد دراستها، كما اعتمدت على المنهج الإحصائي لإحصاء علماء المذاهب المعنيين بدراستنا والوقوف على نشاطاتهم الدّالة على التعايش بينهم، إضافة إلى ذلك وظّفنا المنهج النقدي التحليلي الذي يعتمد على جمع المادة ونقدها وتمحيصها، فهو مناسب لتحليل المعطيات والوصول إلى النتائج الصحيحة، واعتمدت

أيضا على المنهج المقارن، لأنه بعد جمع المعلومات حول أصحاب المذاهب المعنيين بدراستنا نحتاج إلى مقارنتها مع ما ورد في مصادر أخرى، ثم القيام بتحليلها وتركيبها.

وبالنظر إلى طبيعة الموضوع والأهداف المرجوة منه، رأيت تتبع خطة عمل مكونة من ثلاثة محاور رئيسية هي: أولا: تعريف التعايش لغة واصطلاحا، ثانيا: التعريف بالمذاهب السُّنّية ومناطق انتشارها في العالم الإسلامي لنرى حظ مصر والشام من تواجدها، والثالث: مظاهر التقارب والتعايش بين المذاهب السُّنّية في مصر والشام خلال العصر المملوكي، ضمّنتُه ستّة مظاهر نرى بأنها تفي بالغرض المطلوب من الدراسة، وأخيرا خاتمة ضمّنتها أهم النتائج المتوصَّل إليها من هذا المقال.

ونشير ابتداءً إلى أنّ المذاهب السُّنِّية في مصر والشام قد شهدت تضييقًا وعنتًا كبيرا من قِبل الفاطميين[5]، ثم بدأت عملية الانفراج والانتشار زمن الأيّوبيين الذين رفعوا لواء محاربة التشيّع، فصار كل مذهب مستقل بعلمائه ومؤسّساته، واستمر الحال كذلك طيلة العهد المملوكي، واخترنا أن تكون الدائرة الزّمنية لدراستنا العصر المملوكي كنموذج نستقرئ من خلاله الأحداث، ونستنطق النصوص التي نتلمّس منها الانسجام والانفتاح والتعايش المذهبي الذي ارتسم في عدة مظاهر سنُوردها، ولكن قبل ذلك نرى بأنه ينبغي علينا التعريف بالتعايش وبالمذاهب السُّنِّية حتى تكون الصورة أوضح:

1. تعريف التّعايش: لغة: مِن عاش عيشا وعيشة ومعاشا، صار ذا حياة فهو عائش، وعايشه عاش معه، وتعايشوا إذا عاش بعضهم مع بعض في أُلفة ومودّة، ومنه التعايش السّلمي[6]، **واصطلاحا:** لا يختلف عن المعنى اللغوي.

2. تعريف المذاهب السُّنِّية: عرّفهم ابن تيمية وبيّن طريقتهم وذكر بأن أصحابها على كتاب الله وسنة رسوله مجتمعين، ولا يتفرّقون[7]، ووصفهم ابن حزم الأندلسي (ت456هـ/1063م) بأنهم: "هم أهل الحق كالصحابة وكلّ من سلك منهجهم من خيار التابعين ثم أصحاب الحديث

ومن اتّبعهم من الفقهاء جيلا فجيل إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم"[8].

وقد مثّل أهل السُّنّة والجماعة مجموعة من المذاهب عُرف أصحابها بالاجتهاد، وعصرهم هو عصر تابعي التابعين، وبقي منهم منذ ظهورهم إلى زماننا هذا أربعة هم:

1.2 المذهب الحنفي: يُنسب إلى أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي المولود سنة 80هـ/699م، والمتوفى ببغداد سنة 150هـ/767م على الأصح[9]، ونشأ مذهبه بالكوفة وهي موطنه، ثم انتشر في سائر بلاد العراق، وعُرف مذهبه بمذهب أهل الرأي[10].

2.2 المذهب المالكي: يُنسب إلى الإمام مالك بن أنس الأصبحي، المولود سنة 93هـ/711م، والمتوفَّ سنة 179هـ/795م على الصحيح[11]، وقد نشأ هذا المذهب بالمدينة وهي موطن الإمام مالك الذي عُرف بعالِم المدينة[12]، ثم انتشر تدريجيا في باقي المناطق[13].

وتقوم أصول هذا المذهب على الكتاب ثم السُّنّة التي يدخل فيها أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وفتاوى الصحابة وأقضيتهم وعمل أهل المدينة، ثم القياس، وهو إلحاق أمر غير منصوص على حُكمه بأمر آخر فيه نص على حُكمه في ظل وجود وصف مشترك بينهما يكون هو علّة الحُكم التي بُني عليها[14].

وذكر القاضي عياض المالكي (ت544هـ/1149م) مناطق انتشار المذهب المالكي فقال: "غلب مذهب مالك على الحجاز والبصرة ومصر وما والاها من بلاد أفريقية والأندلس وصقلية والمغرب الأقصى إلى بلاد من أسلَم من السودان إلى وقتنا هذا، وظهر ببغداد ظهوراً كثيراً وضعف بها بعد أربعمائة سنة، وضعف بالبصرة بعد خمسمائة سنة وغلب من بلاد خراسان على قزوين ... وظهر بنيسابور وكان بها وبغيرها أئمة ومدرِّسون ... وكان ببلاد فارس، وانتشر باليمن وكثير من بلاد الشام"[15].

3.2 المذهب الشافعي: يُنسب إلى الإمام مُحَمَّد بن إدريس الشّافعي القرشي ﷺ، ولد سنة 150هـ/767م بغزّة من أرض فلسطين، وتوفي بمصر سنة 204هـ/819م[16]، وهو صاحب المذهب الشافعي ثالث الأربعة في القِدم، ويعدُّ من تلامذة الإمام مالك، ثم استقل عنه بمذهب خاص[17].

ويذكر ابن خلدون مناطق انتشار مذهب الشافعي قائلا: "وأمّا الشافعي فمقلِّدُوه بمصر أكثر مما سواها، وقد كان انتشر مذهبه بالعراق وخراسان وما وراء النهر، وقاسَم الشّافعية الحنفيّة في الفتوى والتدريس في جميع الأمصار"[18]، بالإضافة إلى ظهوره كذلك بالشام واليمن، وانتصر له الأيّوبيون والمماليك[19].

4.2 المذهب الحنبلي: يُنسب إلى الإمام أحمد بن حنبل الشيباني المولود سنة 164هـ/780م ببغداد، والمتوفى بها سنة 241هـ/855م[20]، وهو رابع المذاهب السُّنِّية التي لقيت قبولا وانتشارا واستمرارية في الأمة الإسلامية.

وذكر ابن فرحون أن مذهب ابن حنبل ظهر بغداد، ثم انتشر في كثير من بلاد الشام وضعُف خلال القرن الثامن الهجري[21]، وانتشر كذلك بمصر والعراق وحران، وشبه الجزيرة العربية[22]، غير أن سيرورة انتشار مذهبه لقِيَها من التّضييق والعنت الكثير، مما حال دون ظهوره في بعض المناطق وتأخُّره في الانتشار في مناطق أخرى[23].

3. مظاهر الانفتاح والتعايش بين المذاهب السُّنِّية في مصر والشام خلال العصر المملوكي: من خلال اطّلاعنا على المصادر التاريخية التي أرّخت للمذاهب السُّنِّية، تبيّن لنا أن هناك مادة علمية مُعتبَرة تحمل دلالات واضحة على التعايش بينها في مصر والشام خلال العصر المملوكي، وقد عمِلْنا على تصنيفها إلى نقاط متعددة نُوردها كالآتي:

1.3 تقدير العلماء وثنائهم على بعضهم البعض:

وهذا أمرٌ مهمٌّ لم يخلُ منه علماء عصر، وفيه من الإنصاف والاعتراف بفضل الآخرين – لاسيما بين العلماء– الخير الكثير للأمّة، فبِثنائِهم على بعضهم وتقديرهم لفضل غيرهم إشارات واضحة ودلالات ساطعة لتلامذتهم وأتباعهم على أن ذلك هو المنهج القويم والمسلك الرشيد في التعامل مع المخالِف والتّعايش معه وتقبُّل رأيه، فهذا الشيخ ابن تيمية الحرّاني الحنبلي (ت728هـ/1327م) بيّن صحة أصول المذهب المالكي وتفضيله في مصنَّف خاص وسمه بـ"تفضيل مذهب الإمام مالك وأهل المدينة وصحة أصوله"[24]، وهذا ليس غريبا، فأحمد بن حنبل أخذ عن الشّافعي، والشّافعي تلميذ الإمام مالك، وهو القائل عن نفسه:"مالكٌ أستاذي وعنه أخذتُ العِلم"، فإمامة مالك لهما ظاهرة[25]، وثبت حسب السيوطي أن أبا حنيفة النُّعمان صاحب المذهب الحنفي أخَذَ عن الإمام مالك[26]، وألّف الدارقطني جزءا في الأحاديث التي رواها أبو حنيفة عن مالك[27]، ففي تلمذتهم على بعضهم البعض إقرارٌ منهم بالفضل والتّقارب والتّسامح بينهم .

وكأمثلة عن تقدير العلماء بعضهم لبعض خلال الفترة المعنية بالدّراسة، فإننا نذكر ابن الحاجب أبي عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر الكردي الأسنائي المالكي (ت646هـ/1248م)، كان محبا للشيخ عز الدّين بن عبد السلام الشافعي (ت660هـ/1210م)، وحين حُبس ابن عبد السّلام بسبب إنكاره على السلطان، دخل معه الحبس موافقةً ومراعاةً[28]، وهذا مثال راقي في التفاعل والتعايش رغم الاختلاف المذهبي بينهما.

كما نذكر الشيخ ناصر الدين أبي العباس أحمد بن مُحَمَّد المالكي، المعروف بابن المنير (ت683هـ/1284م)، أحد كبار علماء الإسكندرية في زمانه، قال عنه العز بن عبد السلام الشافعي (ت660هـ/1210م):"الدّيار المصرية تفخر برجُلين في طرفيها: ابن دقيق العيد في قوص، وابن المنير في الإسكندرية"[29].

وقال الشيخ شمس الدين بن عدلان الشافعي: أخبرني خالي الحافظ شيخ الشافعية بالديار المصرية أن شهاب الدين القرافي المالكي (ت684هـ/1285م) "حرّر أحد عشر علماً في ثمانية

أشهر، أو قال: ثمانية علوم في أحد عشر شهرا"[30]، وهذا ثناء وتقدير واضح وجلي من عالم شافعي لنبوغ مالكي.

وطالعتنا المصادر التاريخية على إجماع الشافعية والمالكية على أن أفضل أهل عصرِهم بالديار المصرية "ثلاثة: القرافي بمصر القديمة، والشيخ ناصر الدين بن منير بالإسكندرية، والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد بالقاهرة المعزية، وكلهم مالكية خلا الشيخ تقي الدِّين فإنّه جمع بين المذهبين"[31].

كما حُكي عن تقي الدين ابن دقيق العيد المالكي الشافعي (ت702هـ/1303م) أنه اجتمع بابن تيميّة الحرّاني الحنبلي (ت728هـ/1328م) فقال عنه:"رأيت رجلا كلُّ العلوم بين عينيه يأخذ ما يريد ويدع ما يريد"[32]، فنفهم من هذا الكلام اعتراف أهل العلم من المالكية والشافعية لغيرهم —وإن كان مخالفا لهم-بالفضل والرُّسوخ في العلم، وهذا ليس غريبا، فإنه لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذووه.

ونشير هنا إلى ما نال ابن تيمية من الأذى من بعض أقرانه، ومع ذلك لم يمنع من بروز علماء مُنصفين مخالفين له في المذهب أقرُّوا بمكانته ونبوغه وتفوُّقه وأنْزلوه المنزلة التي تليق به، فهذا شيخ المالكية في زمانه بدمشق أَبو إسحاق اللَّوزي (ت687هـ/1288م)، قال:"كان شيخنا شيخ الإسلام شمس الدين قدوة الأنام، حسنة الأيام، مِمَّن تفتخر بِه دمشق على سائر البلدان، بَل يزهو بِهِ عصره عَلَى متقدم العصور والأزمان، لما جمع الله له من المناقب والفضائل التي أوجبت للأواخر الافتخار على الأوائل"[33]، فوصْفُه له إقرارٌ منه بالمكانة التي استحقّها ابن تيمية في زمانه، فضلا عن أنها كلمة حق صادقة انطلقت من مالكيٍّ نأَى بنفسه عن الوقوع في فخ التّعصُّب المذهبي المقيت، فمثَّل إلى جانب غيره حلقة مهمّة من حلقات التعايش بين المذاهب السُّنِّية في مصر والشام خلال العصر المملوكي.

2.3 الإنصاف في تقبل آراء الغير ومراعاتها:

وهذا دأب الأئمة الأربعة، فقد ثبت عنهم نهيهم عن تقليدهم والتّعصُّب لأرائهم من غير دليل[34]، ووجدنا من علماء الفترة المعنية بدراستنا من سار على منوالهم في ذلك، فهذا شهاب الدين القرافي (ت684هـ/1285م) خطَّأ أصحابه المالكية في فهمهم الحديث الذي جاء عن رسول الله ﷺ « **أَنَّهُ نَهَى عَنْ بَيْعِ مَا لَمْ يُقْبَض**»[35]، ونهيه أيضا عن بيع الطعام قَبْلَ قَبْضِهِ[36]، فجعل الصواب في ذلك مع الشَّافعية الذين أخذوا بعموم الحديث، في حين خصّص المالكية المنع بالطَّعام خاصّة وجوَّزُوا بيع غيره قبل قبضه، فيقول بأن مداركهم اختلفت في ذلك، وأنّ الصّواب مع الشَّافعِية[37].

ونشير هنا من باب التوضيح إلى أن المالكية خصصوا المنع بكل طعام سواء كان مكيلا أو موزونا أو جزافا، وأجاز مالك بيع الطعام قبل قبضه اذا كان على وجه التولية كما أجاز الإقالة والشركة فيه قبل قبضه وعلتهم في ذلك أن هذه الثلاثة ليست معاوضة صرفة، فتسومح فيها[38].

كما وجدنا القرافي يستدل كثيرا بأقوال الحنابلة، ويصِفهم بالسّادة الحنابلة في مواضع متعددة من كتابه، ويختار مفردات تحمل معنى التعايش والاعتراف بأفضلية الحنابلة في بعض القضايا، من ذلك حين حديثه عن شروط الاجتهاد المعتبرَة في القاضي، فيقول بأنها مُتعَذِّرة في زمانه، ويستطرد قائلا:"...وفي الإنصاف من كُتُب السادة الحنابلة أنه من زمن طويل عُدِم المجتهد المطْلَق"[39].

ويجدر بنا الإشارة إلى أن القرافي كان ينبذ التّعصُّب المذهبي ويُنصف مخالِفه إذا قويت حُجّته، وسلك هذا المسلك حتى مع المعتزلة فنجدُه ينصر رأيهم في بعض القضايا على حساب مذهبه، ومن ذلك إثبات الحق معهم حين مناقشته قاعدة "المأمور به يصح مع التخيير وقاعدة المنهي عنه لا يصح مع التخيير"، فأورَد قولا عن مذهبه يتضمن صحة النهي مع التخيير كالأمر وذَكر في مقابِله رأي المعتزلة المتمثل في المنع وقال:"...و الحق مع المعتزلة في هذه المسألة دون أصحابنا" [40].

ونشير هنا أن هذا المسلك الذي سلكه القرافي في إنصاف الغير هو منهج ربّاني أمرَ به الله تعالى حتى في التّعامل مع الأعداء، وذلك في قوله عزّ وجلّ:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ

شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}[41].

3.3 الجمع بين المذاهب السُّنّية:

ثبت هذا الأمر الإيجابي تاريخيا، فقد أفادتنا كتب الطبقات والتراجم بالعديد من الأسماء التي دخلت هذا الحيز، وحملت سمة التقارب المذهبي، ومن أمثلة ذلك الشيخ شرف الدين أبي مُحَمَّد مُحَمَّد بن عمران بن موسى، المعروف بالشريف الكركي (ت688 أو689هـ/1290م)،لم يمنعه انتماؤه للمذهب المالكي من الدراسة على يد الشيخ العز بن عبد السلام الذي لقّنه الفقه الشافعي، فصار بذلك جامعا للمذهبين المالكي والشافعي[42].

ونذكر أيضا الشيخ تقي الدين أبي الفتح مُحَمَّد بن علي ابن دقيق العيد (ت702هـ/1302م)، نشأ بقوص وتفقّه بها، وكان عالما بالمذهبين المالكي والشافعي، تتلمذ على والده وغيره، وسمع الحديث وحدّث، انتهت إليه رياسة العلم في زمانه، كما تولّى القضاء[43]، قال عنه العز بن عبد السلام الشافعي: "الديار المصرية تفخر برجُلين في طرفيها: ابن دقيق العيد في قوص، وابن المنير في الإسكندرية[44]"، وأثنى عليه الشيخ ركن الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن يوسف التونسي (ت738هـ/1338م)، ومدَحه في قصيدة يائية طويلة جاء فيها:

صبا للعلم صبًّا في صباه... فأعْلِ بهمة الصب الصبي

فأتقن و الشباب له لباس... أدلّة مالك و الشافعي[45].

وكذلك ابنه الآخر الشيخ تاج الدين أحمد بن علي بن وهب (ت723هـ/1322م)، تفقّه كذلك على مذهبي مالك والشافعي، وطلب الحديث وتصدى للتدريس بالمدرسة النجيبية في قوص، فكان يلقي كل يوم دروسا في المذهبين[46].

وأيضا كمال الدين مُحَمَّد بن الناسخ الطرابلسي الشامي (ت914هـ/1508م)، تفقّه على المذهبين المالكي والشافعي وبرع فيهما، وكان يتولى قضاء المالكية بطرابلس سنة

862هـ/1458م، ثم انتقل إلى حلَب ودرّس بها، وأكرمه أهلها لعُلُو سَندِه لأنه كان معمّرا، وله مصنفات في المذهب المالكي كـ "الدرر في توضيح المختصر"، و"كافي الطالب في شرح مختصر ابن الحاجب"[47].

4.3 الانتقال بين المذاهب السُّنّية

لقد بيّنت لنا كتب الطبقات والتراجم أمثلة كثيرة لعلماء غيّروا مذاهبهم من الحنابلة إلى الشافعية أو إلى الأحناف والعكس[48]، وقبل الخوض في تفاصيل هذه النقطة نود أن نشير إلى أن علماء حقبة الدراسة لهم رأيٌ فيها، فقد أورد شهاب الدين القرافي المالكي (ت684هـ/1285م) في كتابه "الذخيرة" رأيًا مفاده جواز الانتقال من مذهب إلى آخر، وقيّد ذلك بشروط ثلاث، وأضاف أيضا بأن "المذاهب كلها مسالك إلى الجنة وطُرُق إلى السعادة، فمن سلك منها طريقًا وَصَلهُ"[49].

ففي هذا الكلام معنى واضح دالّ على نبذ التّعصُّب المذهبي المفضي إلى الفُرقة والتّناحر، ويؤيد هذا الرأي أحد كبار علماء الحنابلة، وهو ابن تيمية الحراني الحنبلي (ت728هـ/1328م)، إذ يقول كلامًا لطيفًا يشير فيه إلى نبذ التّعصُّب، وأن من أصاب الحق فله أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر وخطؤه مغفور له[50]، وهذا –في نظـــرنا– هو المنهج القويم في رؤية مذاهب الغير والتعامل معها.

ويذكر بشار عواد معروف محقق كتاب التكملة أن أبا الحسن علي بن المفضل المقدسي الأصل، الاسكندراني الدار (ت611هـ/1214م) هو من شجع زَكي الدين أبا مُحَمَّد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة المنذري الشافعي المصري (ت656هـ/1258م) على الانتقال إلى المذهب الشافعي مع أنه كان مالكيا[51]، فلم تكن هناك حواجز تمنعهم، وإن وُجدت فقد تغلّبوا عليها وجعلوها وراءهم ظهريا.

وكأمثلة للانتقال بين المذاهب السُّنِّية في مصر والشام خلال العصر المملوكي فإنها كثيرة نذكر منها الشيخ أمين الدين أبي حيان مُحَمَّد بن عبد العزيز بن عبد الرحيم السُّلَمي المسلاتي

(ت764هـ/1363م)،كان شافعيًّا في أول أمره ثم صار مالكيًّا، وكان من القضاة المشكورين حسَن السيرة[52].

والثاني: فتح الدين أبو البشرى عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الحلبي، المعروف بابن الشّحنة (ت830هـ/1427م)، تفقّه بأبيه على المذهب الحنفيّ وتولى قضاء الحنفيّة بحماه، ثم انتقل إلى المذهب المالكي وتولّى القضاء وِفْقَه بحلب سنة 805هـ/1403م إلى غاية وفاته[53]، وخلَفه ابنه إبراهيم سنة 831هـ/1428م في قضاء المالكية[54].

والثالث: برهان الدين إبراهيم بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن عيسى السعدي الإخنائي (ت777هـ/1376م)، اشتغل على المذهب الشافعي ثم صار مالكيًّا، وتولى منصب قاضي المالكية بالدّيار المصرية، وكان شديد الحُرمة في مباشرته[55].

والرابع: تقي الدين مُحَمَّد والد إبراهيم المذكور آنفا (ت750هـ/1350م)، كان شافعيًّا كذلك ثم تحوّل مالكيًّا وصار قاضي المالكية، وطالت مدته وحَسُنت سيرته[56].

والخامس: ابنه الآخر تاج الدين مُحَمَّد (ت763هـ/1362م)، كان شافعيًّا مثل أبيه ثم صار مالكيًّا وتولى منصب القضاء إلى غاية وفاته، وخلَفه أخوه برهان الدين المذكور آنفا[57].

والسادس: الشيخ زين الدين عباس بن أحمد بن محمد بن عبد الله المناوي الأزهري (ت890هـ/1485م)، كان من عباد الله الصالحين على حدّ قول المؤرخين[58]، انتقل من الشافعية إلى المالكية[59].

والسابع: الشيخ شمس الدين مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن المغربي الأصل، الخليلي ثم المقدسي (ت892هـ/1487م)، كان حافظا لكتاب الله تعالى، وجاوَر بالقدس ثم تحوّل إلى المذهب المالكي بعدما كان شافعيا، وتولى إمامة المالكية بالمسجد الأقصى[60].

والثامن: الشيخ تقي الدين أبو بكر بن مُحَمَّد (ت897هـ/1492م)، كان حنفيًّا مثل أبيه، ثم تحوّل إلى المذهب المالكي، وتولّى قضاء المالكيّة بالرّملة من أرض فلسطين سنة 873هـ/1469م إلى غاية سنة 875هـ/1471م، وكان يسعى من أجل نيل المناصب[61].

والتاسع: شمس الدين مُحَمَّد بن إبراهيم مارب العزيز (ت900هـ/1494م)، انتقل كذلك من المذهب الشافعي إلى المالكي وباشر نيابة الحكم في غزة وهو شافعي، وعندما صار مالكيا تولى قضاء المالكية بها سنة891هـ/1485م لمدة ستة أشهر، ثم ولي قضاء المالكية بالقدس سنة 893هـ/1487م إلى غاية 896هـ/1490م[62].

والعاشر: شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن شداد (ت871هـ/1467م)، تحوّل عن الشافعية إلى المالكية أيضا، وتولّى القضاء بالقدس الشريف سنة 870هـ/1466م[63].

والحادي عشر: الشيخ عبد الخالق بن علي بن الحسن، المعروف بابن الفرات (ت794هـ/1392م)، انتقل من المذهب الحنفي إلى المذهب المالكي، وأعاد للمالكية في بعض المدارس، وكان قد درَس الفقه على يد الشيخ خليل بن إسحاق ولازمه وشرح مختصره[64]، ونشأ ابنه أحمد (ت804هـ/1402م) على المذهب المالكي كذلك[65].

ومن أمثلة المنتقلين أيضا نذكر الشيخ أحمد بن علي بن عبد الوهاب الإسكندراني (ت913هـ/1508م)، ذكر المؤرخون أنه كان مالكيًّا ثم انتقل إلى الحنابلة، وقد عُدّ في طبقاتهم، كان يسعى في قضاء الحنابلة، ثم تولى ابنه إبراهيم هذا المنصب بعده طويلا[66]، وانتقاله إلى المذهب الحنبلي لم يكن وحده، بل جرّ معه ابنه الذي تبوّأ في المذهب مكانة عليّة.

كما نورد في هذه الجزئية لطيفة مهمة، تحمل ملمحًا رائعًا من ملامح الانفتاح والانسجام بين المذاهب السُّنّية، إذ تذكر المصادر أحد العلماء الذين عاشوا خلال القرن التاسع الهجري، واتّسعت صدورهم واستوعبت كل تلك المذاهب، وهو الشيخ عبد القادر بن حسن بن عليّ الغمري ثمَّ القاهري البخانقي المعروف بِابْن فقوسة الذي عاش خلال القرن التاسع الهجري، حيث رزقه الله خمسة من البنين، فوجّه كل واحد منهم إلى مذهب، فكان جلال الدّين مُحَمَّد وزين العابدين مُحَمَّد

وشهاب الدّين أَحْمد حنابلة، وأَبُو الفتح مُحَمَّد حنفيًا، وأبو الحسن عليّ مالكيًا[67]، وهذا من المظاهر النادرة التي تحمل دلالة واضحة على أنه يسَع المنتسبين إلى المذاهب السُّنّية ما وسِع أفراد الأسرة السالفة الذِّكر من التعايش والانسجام بعيدا عن مزالق التّعصُّب المفْضي إلى الفُرقة والتشتت المنهي عنه في ديننا الحنيف، لقوله تعالى:{وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ}[68].

5.3 المَشْيَخة والتّلمذة بين أصحاب المذاهب السُّنّية في مصر والشام خلال العصر المملوكي:

ويعني هذا الأمر أن المنبع والمعين واحد، وهذا من الأمثلة الراقية في نظرنا، إذ تتلاقح الأفكار، وتتقلص الهوات، وتحصل به المودة والأُلْفة، ويحدُث التعايش، فحفظت لنا كتب التاريخ نماذج كثيرة نذكر منها الشيخ أبي العباس أحمد بن إدريس القرافي المالكي (ت684هـ/1286م) درس عليه من الحنابلة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الولي المقدسي (ت728هـ/1328م)، ذكرت المصادر بأنه أخذ عنه أصول الفقه[69].

وممن طلب العلم على يد ابن دقيق العيد المالكي الشافعي (ت702هـ/1303م) مِن الحنابلة شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن مسعود بن احمد الحارثي ثم المصري المولود سنة 671هـ/1272م المتوفى سنة 732هـ/1332م، أفادتنا بعض المصادر بأنه أخذ عنه الأصول[70].

ومن الشافعية الذين تتلمذ عليهم المالكية، الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السُّلمي الشافعي (ت660هـ/1210م)، أخذ عنه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي (ت684هـ/1286م) الكثير من العلوم[71]، وقد أثنى على القرافي الشافعية وقبلَهم المالكية حيث أجمعوا "أن أفضل عصرنا بالديار ثلاثة: القرافي، وناصر الدين بن المنير، وابن دقيق العيد"[72]، وكلّهم مالكية خلا ابن دقيق العيد فإنه جمع بين المذهبين.

كما تلقّى ابن دقيق العيد المالكي الشافعي (ت702هـ/1303م) العِلم أيضا على يد الشيخ فخر الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد السعدي المقدسي الحنبلي (ت690هـ/1291م)[73].

ومن الحنابلة الذين تتلمذ عليهم المالكية نذكر الشيخ شمس الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي (ت676هـ/1278م)، أطلعتنا بعض المصادر التاريخية بأنه درَس على يديه شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (684هـ/1286م)، حيث سمع عليه مصنَّفه "وصول ثواب القرآن"[74]، كما تتلمذ عليه أيضا شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي القاسم بن عبد السلام بن جميل الربعي التونسي (ت715هـ/1316م)، ذكرت المصادر بأنه سمع عليه الحديث بالقاهرة[75].

من خلال النماذج السالفة الدّالة على المشْيَخة والتّلمَذة بين المنتسبين للمذاهب السُّنِّية خلال الفترة المحددة لدراستنا، فإننا نقول بأنها مثّلت مظهرا من مظاهر الانسجام التام بين أصحاب تلك المذاهب، بل ونجزم بأنها من أسباب الفَهم الذي أفضى إلى حركية واسعة وانفتاحٍ تام تُرجِم في الانتقال بينهم بكل حرية كما تقدّم ذِكره في جزئية سابقة.

6.3 التدريس في مؤسّسة علمية واحدة:

ومن الأمثلة التي تحمل إشارات عن التعايش بين المذاهب السُّنِّية خلال الفترة المعنية بالدراسة، الاجتماع في مؤسّسة علمية واحدة قصد التعليم، فتطالعنا المصادر التاريخية بمدارس مشتركة بين المذاهب، وكان المدرّسون يُختارون عموما من كبار العلماء ذوي الكفاءات العالية فيتصدّرون المجالس العلمية ويقصدهم طلبة العلم من شتى المذاهب السُّنِّيّة، فيطرحون المواضيع العلمية ويتدارسونها فيما بينهم، كلٌّ يُدلي بدلوه وينتصر لمذهبه طيلة فترة الدرس، ثم ينتقلون إلى درس آخر وهكذا[76]، ومن أمثلة تلك المؤسسات:

أ- المدرسة الصّلاحية: في حلَب، كانت دارا للأمير صلاح الدين، يوسف بن الأسعد (ت745هـ/1344م)، ثم وقفها على المذاهب الأربعة[77]، قال صاحب "كنوز الذهب" بأنه "جعل لها محرابا وجعلها مدرسة على مذاهب الأئمة الأربعة في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة"[78].

ب- المدرسة الصالحية :بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب (حَكم:637-647هـ/1240-1249م)، ووقفها على المذاهب الأربعة سنة 641هـ/1243م[79]، وقد

شُيِّدت في القاهرة، وهي مشتملة على أربع مدارس في بناية واحدة، كما أنها أول مدرسة بمصر يُعمل بها دروس للمذاهب الأربعة[80].

والملاحَظ أن بعض المصادر تذكرها باسم المدارس[81] وليس المدرسة، وقد شبَّهها الباحث خالد كبير علال بالكُلّية تضم أربعة أقسام[82]، ولها باب رئيسي واحد مشترك يوصل إلى بابين متقابلين على جانبي المدخل، أحدهما يؤدي إلى المدرستين الشافعية والمالكية، والثاني يوصل إلى المدرستين الحنفية والحنبلية[83]، وما يزال بعض أطلالها قائما إلى اليوم.

درّس بها مثلا من المالكية الشيخ شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (ت684هـ/1285م)، حيث ذكرت لنا المصادر التاريخية أنه قام بالتدريس بها بعد وفاة الشيخ شرف الدين عمر بن عبد الله السبكي المالكي (ت669هـ/1269م)، وانتفع به طلبة العلم[84].

ودرّس بها من الحنابلة الشيخ شمس الدين أبي بكر مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي، نزيل مصر (ت676هـ/1278م)، وكان رأس الحنابلة بمصر في زمانه[85]، كما درّس بها أيضا الشيخ الفقيه شمس الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد الحارثي ثم المصري(ت732هـ/1332م)، وكان شيخ المذهب بالديار المصرية[86].

ج- المدرسة الناصرية: أمر بإنشائها السلطان الملك العادل، زين الدين كتبغا المنصوري الذي حكم بين سنتي 694-696هـ/1294-1296م، وأكملها السلطان الناصر مُحَمَّد بن قلاوون سنة 703هـ/1303م، وتُعتبر من أجلِّ مباني القاهرة على حد قول المقريزي[87]، وكانت لها أوقاف جليلة[88]، وجُعلت لتدريس المذاهب الأربعة[89].

د- مدرسة بالجبيل: أنشأها شمس الدين أبو بكر أحمد بن أبي صالح عبد الرحيم بن العجمي سنة 595هـ/1198م بحلب، وهي مشتركة بين الشافعية والحنفية والمالكية[90]، وذكر مُحَمَّد كرد علي بأنها الآن تسمى بجامع أبي ذر[91].

وبالتالي فإننا نستطيع القول إن المؤسسات العلمية صارت كقنوات تقارب وتواصل بين أصحاب المذاهب السُّنّية، يقيمون فيها مجالسهم العلمية التي تشهد حضورا كبيرا من طلبة العلم، فينشر كل منهم مذهبه في ظل انفتاح بينهم واتفاق على أن كلا منهم يمثِّل طريقا إلى الجنة، فلا تعصُّب ولا انطواء ولا انزواء، والفهم الصحيح للدّين هو الفيصل في ذلك كله.

الخاتمة:

نخلص في نهاية هذا المقال إلى جملة من النقاط، أولها: بقدر ما نسلط الضوء على الجوانب السلبية في تاريخ المسلمين فإنه ينبغي كذلك –من باب الإنصاف– تبيين الجوانب المشرقة —وهي كثيرة–، واعتبارها النموذج الراقي والأصيل لمن يرنو اتخاذ منهج مؤسَّس على قدوة يسير على خطاها، ثانيا: أن ما ذكرناه في لب الموضوع ما هو إلا نزر يسير من الأمثلة والنماذج الحسنة الكثيرة المبثوثة أخبارها في بطون المصادر التاريخية، ثالثا: إن التوافق بين العلماء واحترامهم لبعضهم البعض يؤصل لمنهج رصين وسليم تسير عليه الأمة نحو الريادة والرقي، رابعا: النماذج التي أوردناها هي ثمرة متابعة الأجيال لمنهج العلماء أصحاب المذاهب في التعامل بينهم، خامسا: احترام رأي المخالف في المذهب ومراعاته والتسليم بصحته وتقديمه على غيره دليل ساطع وبيّن على النضوج الفكري والانفتاح العقلي، سادسا: لمسنا حرية وحركية بين المذاهب السُّنّية تمثّلت في حرّية الانتساب لأي مذهب، فضلا عن الانتقال منه إلى غيره من المذاهب أو الجمع بين بعضها، وهذا يدل على صحة فكرية واضحة، سابعا: ظاهرة المشيخة والتلمذة علي أيدي علماء المذاهب الأخرى تُعدّ ايجابية، لأننا نستشفُّ منها التّحلُّل من العُقَد النفسية الناشئة عن التّعصُّب المذهبي.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولا: المصادر:

1. ابن أبي حاتم أبو مُحَمَّد عبد الرحمن بن مُحَمَّد التميمي الرازي (ت327هـ/938م)، آداب الشافعي ومناقبه، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1424هـ/2003م.

2. ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج البغدادي (ت597هـ/ 1201م)، مناقب الإمام أحمد، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط 02، 1409هـ.

3. ابن العماد الحنبلي الدمشقي (ت1089هـ/1679م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار بن كثير، دمشق، 1406هـ/1985م.

4. ابن الوردي زين الدين عمر بن مظفر (ت749هـ/1348م)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1417هـ/1996م.

5. ابن بدران عبد القادر الدمشقي، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط02، 1985م.

6. ابن تغري جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت874هـ/1470م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم وتعليق: مُحَمَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1413هـ/1992م.

7. ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس (ت728هـ/1328م)، مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، ط03، 1426هـ/2005 م.

8. ـــــــــ، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1416هـ/1995م.

9. ابن حجر العسقلاني (ت852هـ/1449م)، رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق:د.علي مُحَمَّد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط01، 1418هـ/1998م.

10. ـــــــــ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: مُحَمَّد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1392هـ/ 1972م .

11. ابن حزم علي بن أحمد بن سعيد الظاهري الأندلسي (ت456هـ/1063م)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.ط.

12. ابن خلدون، المقدمة، دار القلم، بيروت، 1984م..

13. ابن رجب زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن حسن الحنبلي (ت795هـ/1392م)، ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط01، 1425هـ/2005م.

14. ابن شاس جلال الدين عبد الله بن نجم السعدي المالكي (ت616هـ/1219م)، عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، دراسة وتحقيق: أ.د حميد بن مُحَمَّد لحمر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 1423هـ/2003م.

15. ابن شاهين، نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط01، 1422هـ/2002م.

16. ابن فرحون اليعمري المالكي (ت799هـ/1396م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق: د.مُحَمَّد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.ط.

17. ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق: عدنان درويش، طباعة مشتركة بين المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، والجفان والجابي للطباعة والنشر، قبرص، 1994م.

18. ابن ماجة أبو عبد الله مُحَمَّد بن يزيد القزويني (ت273هـ/886م)، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط01، 1430هـ/2009م.

19. أبو الفداء عماد الدين إسماعيل (ت732هـ/1331م)، المختصر في أخبار البشر، تحقيق: محمود ديوب، منشورات مُحَمَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1417هـ/1997م.

20. أحمد بن إبراهيم الحنبلي، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1415هـ/1996م.

21. أحمد بن حنبل (ت241هـ/855م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط01، 1421هـ/2001م.

22. البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين الخراساني (ت458هـ/1066م)، السنن الكبرى، تحقيق: : مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط03، 1424هـ/2003م.

23. الدسوقي مُحَمَّد بن أحمد بن عرفة (ت1230هـ/1814م)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، تحقيق: مُحَمَّد عليش، دار الفكر، بيروت، د.ت.ط.

24. الذهبي شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت748هـ/1347م)، معجم الشيوخ الكبير، تحقيق: د.مُحَمَّد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، السعودية، ط01، 1408هـ/1988م.

25. سبط بن العجمي (ت884هـ/1479م)، كنوز الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، حلب، سوريا، ط01، 1417هـ/1996م.

26. السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن علي(ت771هـ/1369م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود مُحَمَّد الطناحي ود. عبد الفتاح مُحَمَّد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط02، 1413هـ .

27. السخاوي، الضوء اللامع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.ط.

28. ـــــــــ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1414هـ/1993م.

29. السيوطي أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر(ت911هـ/1505م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط01، 1387هـ/1967م.

30. ـــــــ، تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك، تحقيق: هشام بن مُحَمَّد حيجر الحسني، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1431هـ/2010م.

31. الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ/1362م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ/ 2000م.

32. العليمي أبو اليمن مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس، عمان، 1420هـ/1999م.

33. الغزي تقي الدين بن عبد القادر المصري الحنفي(ت1010هـ/1601م)، الطبقات السُّنِّية في تراجم الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح مُحَمَّد الحلو، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1390هـ/1970م.

34. القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي (ت422هـ/1031م)، المعونة على مذهب عالم المدينة «الإمام مالك بن أنس»، تحقيق: حميش عبد الحقّ، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز-مكة المكرمة، د.ت.ط.

35. القاضي عياض السبتي المالكي(ت544هـ/1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: ابن تاويت الطنجي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط01، 1965م.

36. القرافي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس (*684*هـ/ 1285م)، الذخيرة، تحقيق: مُحَمَّد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 1994م.

37. ـــــــ، الفروق أو انوار البروق في أنوار الفروق، تحقيق: خليل المنصور، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1418هـ/1998م.

38. مالك بن أنس الأصبحي المدني (ت193هـ/808م)، الموطأ، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر،د.ت.ط.

39. المقريزي تقي الدين أبو العباس (ت845هـ/1441م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1418هـ.

40. ـــــــــــ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق : مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1418هـ/1997م.

41. المنذري بن عبد القوي (ت656هـ/1258م)، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق:د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط04، 1408هـ/1988م.

42. ولي الله الدهلوي أحمد بن عبد الرحيم (ت1176هـ/1762م)، الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار النفائس، بيروت، ط02، 1404هـ/1983م.

ثانيا: المراجع:

43. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مادة (مكس)، تحقيق مجمع اللغة العربية، القاهرة، دار الدعوة، د.ت.ط.

44. أحمد تيمور باشا، المذاهب الفقهية الأربعة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط01، 1421هـ/1996م.

45. أحمد بن مُحَمَّد نصير الدين النقيب، المذهب الحنفي، مكتبة الرشد، الرياض، ط01، 1422هـ/2001م.

46. أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف، مصر، 1969م.

47. الجوجو حسن، التّعصُّب المذهبي والتطرف الديني وأثرهم على الدعوة الإسلامية، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر (7-8 ربيع الأول 1426هـ، 16-17 ابريل2005م)، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة.

48. حسين أمين، تبادل التأثيرات الحضارية بين مصر والعراق في العصور الإسلامية، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، ع14، 1980م.

49. خالد كبير علال، الحركة العلمية الحنبلية وأثرها في المشرق الإسلامي، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، إشراف: أ.د عبد الحميد حاجيات، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2003م.

50. ـــــــــــ، التّعصُّب المذهبي في التاريخ الإسلامي-خلال العصر الإسلامي-مظاهره، آثاره، أسبابه، علاجه، دار المحتسب، الجزائر، 1429هـ/2008م.

51. سليمان بن عبد الله الخرابشه، مملكة طرابلس في العهد المملوكي، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف:د.مصطفى الحيارى، قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، 1405هـ/1985م.

52. عبد الله بن عبد المحسن التركي، المذهب الحنبلي – دراسة في تاريخه وسماته وأشهر وأعلامه ومؤلفاته، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط01، 1423هـ/2002م.

53. كرد علي مُحَمَّد ، خطط الشام، مطبعة المفيد، دمشق، 1347هـ/1928م.

54. مُحَمَّد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربية، القاهرة، د.ت. ط.

الهوامش:

[1]- سورة الأنبياء، الآية 92.

[2]- أحمد بن حنبل (ت241هـ/855م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط01، 1421هـ/2001م، ج14، ص335-336.

[3]- ابن ماجة أبو عبد الله مُحَمَّد بن يزيد القزويني (ت273هـ/886م)، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط01، 1430هـ/2009م، ج01، ص151.

[4]- مثال ذلك: خالد كبير علال، التّعصُّب المذهبي في التاريخ الإسلامي-خلال العصر الإسلامي-مظاهره، آثاره، أسبابه، علاجه، دار المحتسب، الجزائر، 1429هـ/2008م، الجوجو حسن، التّعصُّب المذهبي والتطرف الديني وأثرهم على الدعوة الإسلامية، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر (7-8 ربيع الأول 1426هـ، 16-17 ابريل2005م)، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة.

[5]- السيوطي أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر(ت911هـ/1505م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط01، 1387هـ/1967م ج01، ص480.

[6]- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مادة (مكس)، تحقيق مجمع اللغة العربية، القاهرة، دار الدعوة، د.ت.ط، ج02، ص639.

[7]- ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس (ت728هـ/1328م)، مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، ط03، 1426هـ/2005 م، ج03، ص157.

[8]- ابن حزم علي بن أحمد بن سعيد الظاهري الأندلسي (ت456هـ/1063م)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.ط، ج02، ص90.

[9]- الغزي تقي الدين بن عبد القادر المصري الحنفي(ت1010هـ/1601م)، الطبقات السُّنّية في تراجم الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح مُحَمَّد الحلو، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1390هـ/1970م، ج01، ص88.

[10]- أحمد بن مُحَمَّد نصير الدين النقيب، المذهب الحنفي، مكتبة الرشد، الرياض، ط01، 1422هـ/2001م، ج01، ص82-94.

[11]- ابن فرحون اليعمري المالكي (ت799هـ/1396م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق: د.مُحَمَّد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.ط، ج01، ص133 .

[12]- ابن شاس جلال الدين عبد الله بن نجم السعدي المالكي (ت616هـ/1219م)، عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، دراسة وتحقيق: أ.د حميد بن مُحَمَّد لحمر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 1423هـ/2003م، ج01، ص04 .

[13]- أحمد تيمور باشا، المذاهب الفقهية الأربعة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط01، 1421هـ/1996م، ص64.

[14]- مُحَمَّد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربية، القاهرة، د.ت. ط، ص397 .

[15]- القاضي عياض السبتي المالكي(ت544هـ/1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: ابن تاويت الطنجي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط01، 1965م، ج 01، ص65.

[16]- انظر ترجمته في: ابن أبي حاتم أبو مُحَمَّد عبد الرحمن بن مُحَمَّد التميمي الرازي (ت327هـ/938م)، آداب الشافعي ومناقبه، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1424هـ/2003م

[17]- ابن فرحون، المصدر السابق، ج02، ص156–160 .

[18]- ابن خلدون، المقدمة، دار القلم، بيروت، 1984م، ص448 .

[19]- أحمد تيمور باشا، المرجع السابق، ص 78– 79.

[20]- أنظر ترجمته في: ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج البغدادي (ت597هـ/ 1201م)، مناقب الإمام أحمد، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط 02، 1409هـ.

[21]- ابن فرحون، المصدر السابق، ج01، ص62 .

[22]- عبد الله بن عبد المحسن التركي، المذهب الحنبلي – دراسة في تاريخه وسماته وأشهر وأعلامه ومؤلفاته، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط01، 1423هـ/2002م، ج01، ص227 وبعدها .

[23]- للتوسع في ذلك أنظر : أحمد تيمور باشا، المرجع السابق، ص88–91 .

[24]- طُبع من قِبل دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير بالقاهرة بتحقيق الباحث أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي.

[25]- الدسوقي مُحَمَّد بن أحمد بن عرفة (ت1230هـ/1814م)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، تحقيق: مُحَمَّد عليش، دار الفكر، بيروت، د.ت.ط، ج01، ص19.

[26]- السيوطي، تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك، تحقيق: هشام بن مُحَمَّد حيجر الحسني، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1431هـ/2010م، ص118-119.

[27]- الدسوقي، المصدر السابق، ج01، ص19.

[28]- ابن العماد الحنبلي الدمشقي (ت1089هـ/1679م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار بن كثير، دمشق، 1406هـ/1985م، ج07، ص405.

[29]- ابن الوردي زين الدين عمر بن مظفر (ت749هـ/1348م)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1417هـ/1996م، ج02، ص225 .

[30]- ابن فرحون، المصدر السابق، ج01، ص238.

[31]- نفسه، ج01، ص238.

[32]- ابن الوردي، المصدر السابق، ج02، ص278.

[33]- ابن رجب، رجب زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن حسن الحنبلي (ت795هـ/1392م)، ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط01، 1425هـ/2005م، ج04، ص178.

[34]- أنظر مثلا: ولي الله الدهلوي أحمد بن عبد الرحيم (ت1176هـ/1762م)، الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار النفائس، بيروت، ط02، 1404هـ/1983م، ص104.

[35]- البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين الخراساني (ت458هـ/1066م)، السنن الكبرى، تحقيق: : مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط03، 1424هـ/2003م، ج05، ص510.

[36]- مالك بن أنس الأصبحي المدني (ت193هـ/808م)، الموطأ، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، د.ت.ط، ج02، ص644.

[37]- القرافي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس (684هـ/ 1285م)، الفروق أو انوار البروق في أنوار الفروق، تحقيق: خليل المنصور، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1418هـ/1998م، ج01، ص193.

[38] - القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي (ت422هـ/1031م)، المعونة على مذهب عالم المدينة «الإمام مالك بن أنس»، تحقيق: حميش عبد الحقّ، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز-مكة المكرمة، د.ت.ط، ص969.

[39] - القرافي، المصدر السابق، ج02، ص122.

[40]- نفسه، ج02، ص08.

[41]- سورة المائدة، الآية 08.

[42]- ابن فرحون، المصدر السابق، ج02، ص326.

[43]- الذهبي شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت748هـ/1347م)، معجم الشيوخ الكبير، تحقيق: د.مُحَمَّد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، السعودية، ط01، 1408هـ/1988م، ج02، ص249.

[44]- ابن فرحون، المصدر السابق، ج01، ص243-245.

[45]- السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن علي(ت771هـ/1369م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود مُحَمَّد الطناحي ود. عبد الفتاح مُحَمَّد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط02، 1413هـ، ج09، ص210 .

[46]- ابن حجر العسقلاني (ت852هـ/1449م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: مُحَمَّد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1392هـ/ 1972م، ج01، ص262 .

[47]- سليمان بن عبد الله الخرابشه، مملكة طرابلس في العهد المملوكي، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف:د.مصطفى الحيارى، قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، 1405هـ/1985م، ص296.

[48]- عن تلك التحولات انظر: خالد كبير علال، الحركة العلمية الحنبلية وأثرها في المشرق الإسلامي، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، إشراف: أ.د عبد الحميد حاجيات، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2003م، ص549-554.

[49]- القرافي، الذخيرة، تحقيق: مُحَمَّد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 1994م، ج01، ص140.

[50]- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1416هـ/1995م، ج20، ص291-293.

[51]- المنذري بن عبد القوي (ت656هـ/1258م)، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق:د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط04، 1408هـ/1988م، ج02، ص306.

[52]- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج05، ص265.

[53]- السخاوي، الضوء اللامع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.ط، ج04، ص150.

[54]- السخاوي، الضوء اللامع، ج01، ص65.

[55]- ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق: عدنان درويش، طباعة مشتركة بين المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، والجفان والجابي للطباعة والنشر، قبرص، 1994م، مج03، ج02، ص485.

[56]- ابن حجر، رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق:د.علي مُحَمَّد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط01، 1418هـ، ص353.

[57]- نفسه، ص412.

[58]- السخاوي، الضوء اللامع، ج04، ص19.

[59]- ابن شاهين، نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية ، بيروت، ط01، 1422هـ/2002م، ج07، ص 432.

[60]- العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس، عمان، 1420هـ/1999م، ج02، ص253.

[61]- نفسه، ج02، ص254.

[62]- نفسه، ص254.

[63]- نفسه، ص249.

[64]- ابن قاضي شهبة، المصدر السابق، مج03، ص443-444.

[65]- السخاوي، الضوء اللامع، ج01، ص323.

[66]- السخاوي، التحفة اللطيفة ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1414هـ/1993م، ج01، ص123.

[67]- السخاوي، الضوء اللامع، ج04، ص266 .

[68]- سورة المؤمنون، الآية 52.

[69]- ابن رجب الحنبلي، ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط01، 1425هـ/2005م، ج04، ص488-491.

[70]- نفسه، ج05، ص39-40.

[71]- ابن فرحون، المصدر السابق، ج01، ص236.

[72]- السيوطي، حسن المحاضرة، ج01 ، ص316.

[73]- الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ/1362م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ/ 2000م، ج20، ص121.

[74]- ابن فرحون، المصدر السابق، ج01، ص236.

[75]- نفسه، ج02، ص317.

[76]- ابن بدران عبد القادر الدمشقي، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط02، 1985م، ص105.

[77]- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل (ت732هـ/1331م)، المختصر في أخبار البشر، تحقيق: محمود ديوب، منشورات مُحَمَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1417هـ/1997م ، ج02، ص477 .

[78]- سبط بن العجمي (ت884هـ/1479م)، كنوز الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، حلب، سوريا، ط01، 1417هـ/1996م، ج01، ص335 .

[79]- المقريزي تقي الدين أبو العباس (ت845هـ/1441م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1418هـ، ج03، ص465.

[80]- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق : مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1418هـ/1997م، ج01، ق01، ص38، حسين أمين، تبادل التأثيرات الحضارية بين مصر والعراق في العصور الإسلامية، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، ع14، 1980م، ص21 .

[81]- أحمد بن إبراهيم الحنبلي، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1415هـ/1996م، ص341 .

[82]- خالد كبير علال، الحركة العلمية الحنبلية، ص237 .

[83]- أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف، مصر، 1969م، ج02، ص62-72.

[84]- ابن تغري جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت874هـ/1470م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم وتعليق: مُحَمَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1413هـ/1992م، ج01، ص233.

[85]- ابن رجب، المصدر السابق، ج04، ص143.

[86]- نفسه، ج05، ص40.

[87]- المقريزي، الخطط، ج03، ص485.

[88]- ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج08، ص165 .

[89]- السيوطي، حسن المحاضرة، ج02، ص265.

[90]- ابن الشحنة الحنفي، المصدر السابق، ص114 .

[91]- مُحَمَّد كرد علي، خطط الشام، مطبعة المفيد، دمشق، 1347هـ/1928م، ج06، ص108.